

الخط العربي

أصوله ، نهضته ، انتشاره

مقدمة

الخط العربي هو فن إبداعي بذاته له مدارسه واتجاهاته ، وله مبدعوه والموهوبون فيه ، وهو ينتقل في تكوينه - شأنه شأن الفنون الأخرى ، من الاتباعية المدرسية إلى الإبداعية المتطرفة ، وبهذه الصفة استطاع الخط العربي أن يستمر في تاريخ الفن الإسلامي تياراً له شخصيته المعبرة عن كل عصر .

إن تعدد أنماط الخطوط العربية جعل هذا الفن من أغنى مظاهر الإبداع ، فلسنا نرى في فن التصوير مثلاً ما يضاهي الخط العربي في تنوع أساليبه وأشكاله ، فلقد استوعب الخط العربي أنماط التصوير من واقعية واتباعية وتعبيرية ورمزية .

وهكذا تفرد الخط العربي عن سائر الخطوط العالمية في مقدرته على تكوين فن بذاته مستقل عن دور الكتابة ، فليس هو مجرد وسيلة للكتابة ؛ بل إن الكتابة هي وسيلة له للتعبير عن مقدرته الخطاط في تكوين لوحة تتداخل فيها الكلمات والحروف بأشكال اتباعية دائماً ، كخط الثلث أو الكوفي أو الديواني ، ولكن اللوحة تصبح عملاً فنياً بذاته ليس من السهل تقليده أو تكراره .

ولقد كان دور الخط عالياً في تعزيز الإسلام جميعاً ، فهو لم يكن فناً بذاته . ، ولم يكن أداة للدلالة على معنى وحسب ، بل كان أيضاً فناً من أجل غيره ، من أجل أي إنتاج يدوي ، حتى ولو كان إنتاجاً يدوياً عادياً ، ويبقى الخط هو العنصر الأساسي الذي يجعل الإنتاج فناً .

تطور الخط الجميل

لقد تدرج الخط العربي بوضوح عن الخطوط العربية السابقة للإسلام ، ولعل هذا أيضا يفسر تدرج اللغة ذاتها ، فقد كان يعتقد أن اللغة العربية ولدت كاملة دون أن تعرف لها طفولة نامية ، أو نقص تكامل على الأيام .

ويؤكد جميع المؤرخين أن العربية قبيل الإسلام كانت لهجات مختلفة وذات كتابة واحدة ، وأن اختيار القرآن للهجة قريش كان مبدأ توحيد اللغة العربية الأدبية والدارجة لفظا وكتابة .

ثم بدأت أهمية صورة الحرف العربي من خلال ارتباطها بكتابة القرآن فانتشر الخط بانتشار الدين الإسلامي ، والواقع أن الدين الإسلامي لارتباطه باللغة والكتابة العربية ، حمل خصائص العرب إلى كل مكان أصبح عقيدة عامة فيه ، يؤكد ذلك أرنست كونل فيقول :

((لقد منح العرب الدين الإسلامي اللغة والخط ، وانتشر الخط العربي في العالم الإسلامي فأصبح رابطة لجميع الشعوب الإسلامية ، رغم الحدود الحاضرة)) .

ولقد اعتنى بالخط العربي منذ نشأة الإسلام ، فلقد روى ابن الأثير ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام في المدينة قبل أي شيء مسجد المدينة ، وجعله للتعليم ، وكلف عبدالله بن سعيد بن العاص وعبادة بن الصامت بتعليم الكتابة ، ولقد أوفد الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لتعليم الكتابة والخط ، فأخذ ينتقل في عمالة كل عامل ، وقال علي ((عليكم بحسن الخط فإنه مفتاح الرزق)) ، كما قال ابن عباس : ((الخط الجميل يزيد الحق بيانا)) .

وتطور الحرف الجميل بسرعة بعد أن أضيف إليه الإعراب والرقش . ولقد روى البلاذري عن ابن النديم في كتابه الفهرست : ((اختلف الناس في أول من وضع الخط العربي فقد قال ابن عباس : أول من كتب العربية ثلاثة رجال

سكنوا الأنبار.... وهم مرامرة بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، فأما مرامرة فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ، وأما عامر فوضع الأعجام)) . ونحن لا نقر هذا الرأي .

أشكال الخط العربي وأشهر الخطاطين

من أوائل أشكال الخط العربي التي ظهرت أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الخط الملكي والمدني .

وفي عهد عمر ظهر خط (المشق) وفي القاموس : المشق في الكتابة : مدحروفها ، وهو خط سريع ممتد الحروف غامض التركيب ، وهو من الخطوط التي كانت تكتب بها المصاحف ويختلف عن الخط المدني في انتصاب مداته .

وفي عهد عمر أيضا ظهر خط جديد في الكوفة التي أنشأها بأمره سعد بن أبي وقاص ، وأطلق عليه اسم الخط الكوفي ، وهو خط يابس فيه صنعة وهندسة لعلها استمدت من الكتابة السريانية التي كانت شائعة في أطراف الكوفة وبخاصة في الحيرة .

ويعتقد ابن النديم أن الخطاط (قطبة المحرر) هو أول من أبدع الخط العربي وطوره . فقد ابتدع أربعة أقلام لعلها : الجليل والطومار والثلث والنصف ، واشتهر من الخطاطين في العهد الأموي مالك بن دينار ، وخالد بن أبي الهياج ، وشعيب بن حمزة وإسحاق بن حماد ، وإبراهيم الشجري ، وقد لا يكون الخط الشامي بعيداً جداً عن الخط الكوفي بنوعيه .

وأشهر الخطاطين في العصر العباسي الأحوال المحرر وهو أحد كبار الخطاطين ، وكان وزير المعتصم معجباً بخطه ولا يكتب له أحد غير الأحوال .

وآخر الخطاطين المشهورين في بغداد كان حمد الله الأماصي الذي عرف بابن الشيخ ، وياقوت المستعصي مولى المستعصم ، كتب ألف مصحف ومصحف .

أنواع الخطوط :

أنواع الخطوط العربية تتجاوز المئة ولكن ، أكثرها استعمالاً هي التالية :

-الخط الكوفي :

هو أقدم الخطوط وأكثرها جمالاً وأنماطاً ، ويعتمد على قواعد هندسية تخفف من جمودها زخرفة متصلة أو منفصلة ، تشكل خلفية الكتابة ، واستعمل الخط الكوفي غالباً لزخرفة المباني والكتابات الكبيرة .

-خط الثلث :

هو أروع الخطوط وأكملها وأصعبها ، أول من ابتكره ابن مقلة الوزير ، ثم نوعه وتفنن في إخراج ابن البواب ، وفي هذا الخط تتجلى عبقرية الخطاط في حسن اتباعه للقاعدة وتمائل الحروف في تكوين الكلمات والحروف .

-خط الإجازة والتوقيع :

هو خط مشتق من الثلث والنسخ ، وتكتب به الشهادة الممنوحة للمتفوقين في الخط .

-خط النسخ :

هو من فروع قلم الثلث ولكنه أكثر قاعدية وأقل صعوبة ، وهو لنسخ القرآن الكريم وأصبح خط أحرف الطباعة .

-الخط الفارسي :

ويسمى نستعليق ومختصرها تعليق ، وأصلها نسخ تعليق ، وهو خط عربي مستوحى من الكتابة البلهوية وتنسب إلى الخطاط ميرعلي التبريزي قواعد تجويد هذا الخط .

ويمتاز الخط الفارسي باختلاف عرض حروفه ، وبعض الحروف تكتب بثلاث عرض القطعة ، كما يمتاز بعدم تداخل حروفه مع حروف قلم آخر ، ولهذا الخط أشكال وأنماط .

-الخط الديواني :

ولقد عرف منذ عهد السلطان محمد الفاتح ٨٥٧هـ ، وهو الخط العربي الفني الرشيق السهل ، تكتب به الكتب السلطانية ، وبرع به الحافظ عثمان ، ومن أنواعه : الجلي والديواني والسنبلي .

-خط الرقعة أو الرقاع :

هو خط قاعدي سريع وسهل ابتكره الأتراك .

-خط الطغراء :

هو رسم لاسم السلطان على شكل توقيع فني ، واستعمل الطغراء المماليك ، ولكن السلاطين العثمانيين هم الذين اقتصوا باستعماله .

-الخط المغربي :

وهو مشتق من الخط الكوفي القديم ، وكان يسمى خط القيروان ثم سمي الخط الأندلسي أو القرطبي .

-خط حروف التاج :

ابتكر في مصر منذ عام ١٩٢٥ وهو إضافة تاج على أول حرف في كل كلمة من الخط النسخ .

شروط الخط الجميل

ويضع أبو حيان شروطاً للخط الجميل فيقول : ((والكاتب يحتاج إلى سبعة معان : الخط المجرد بالتحقيق ، والمحلي بالتحديق ، والمجمل بالتحويق ، والمزين بالتحريق ، والمحسن بالتحقيق ، والمجاد بالتحديق ، والمميز بالتحريق .

أما المجرد بالتحقيق فإبانة (الحروف كلها) ، منثورها ومنظومها ، مفصلها وموصلها ، بمداتها وقصراتها ، وتفريجاتها وتعويجاتها .

وأما المراد بالتحديق : إقامة (الحاء والحاء والجيم) وما أشبهها على تبيض أوساطها .

وأما المراد بالتحويق : فإدارة (الواوات والفاءات والقافات) وما أشبهها مصدرية وموسطة ومدنبة يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة .

وأما المراد بالتحريق : فتفتيح وجوه (الهاء والعين والغين وما أشبهها) .

وأما المراد بالتعريق : فإبراز (النون والياء وما أشبهها) ، مما يقع في أعجاز الكلمة مثل (عن وفي ومتى وإلى وعلى) .

وأما المراد بالتحقيق : فتكنف (الصاد والضاد والكاف والطاء) وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي .

وأما المراد بالتنسيق : فتعميم (الحروف كلها) ، مفصولها وموصلها بالتصفية .

وأما المراد بالتوفيق : فحظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأغالبها بما يفيدها وفاقاً لا خلافاً .

وأما المراد بالتحديق : فتحديد أذنان الحروف بإرسال اليد .

وأما المراد بالتفريق : فحظ الحروف مزاحمة بعضها لبعض وملابسة أول منها الآخر.

أنواع الأقلام في الخط العربي

وقدم أبو حيان في رسالته عن علم الكتابة ، تفاصيل عن أنواع الأقلام وطرق بريها وقطها ، والقلم هو الوسيلة الأساسية لفن الكتابة ، ولذلك وجب اختياره بدقة ((وخير الأقلام ما استمكن نضجة في جرمه ، وجف ماؤه في قشرته ، وقطع بعد إلقاء بزره ، وصلب شحمه وثقل حجمه)) .

((والقلم المحرف يكون الخط به أضعف وأحلى ، والمستوى أقوى وأصفى ، والمتوسط بينهما يجمع أحد حالتهما ، وما كان في رأسه طول ، فهو يعين اليد الخفيفة على سرعة الكتابة ، وما قصر فبخلافه)) .

ويتم بري القلم بأربعة طرق :

الفتح : وهو في القلم الصلب أكثر تعبيراً ، وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما .

والنحت : أي نحت حواشي القلم وبطنه .

الشق : إذا كان القلم صلباً فيشق أثر الجلفة .

القط : وهو إما محرف أو مستو أو قائم أو مصوب .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث البسيط أسأل الله أن ينفع به الجميع وتعم به
الفائدة والله من وراء القصد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .